موت زميله. وهذا ما يعبر عنه الكلام الوارد في الكراس الصحفي للفيلم، اذ نقرأ في وصف الوجه الآخر لحياة شباب فرق الضفادع البشرية، أنهم رجال «يتصفون بالمهارة والتصميم والشجاعة، إلا أنهم يفاجئوننا في حياتهم الخاصة بضعفهم وحتى جبنهم».

في مجال الملاحظة، وجدنا في مهرجان «كان» الأخير أنه يصادف احياناً ان ينقل الفيلم الاسرائيلي المجرد جزءاً من واقعه السياسي، كأن نقع فيه على سرابية انتماء كائنه إلى مكانه. فاذا اخذنا مثالاً على ذلك «ألف قبلة صغيرة» للمخرجة ميرا ريكاناتي، والذي يعتبر العمل الأجود فنياً، من حيث التنفيذ، نسبة إلى باقي الأعمال، يتميز هذا الفيلم بفقدانه التناغم والتجانس في علاقة السيناريو بعنصر المكان، ويتجلى ذلك في مشاهد عدة بالانتقال «غير الطبيعي» من احياء القدس العتيقة إلى الديكورات الداخلية التي تشكل في ذاتها إطار أزمات غربية، بل اوروبية الأجواء تحديداً. داخل نفوس نسائية، ركيزتها الأولى شخصية فتاة شابة، تعوض عن وفاة أبيها باقامة علاقة عاطفية مترددة مع ابن عشيقته. والثانية شخصية والدة الفتاة وهي تعيش في فراغ عاطفي يدعوها إلى محاولة قتل ابنتها والانتحار.

فيلم ميرا ريكاناتي يعكس حديثنا في البدء عن اوجه الحشمة والجنس في السينما الاسرائيلية، فالمخرجة هنا تلتزم حدود الحشمة المخيفة، باقترابها وتراجها عن الهواجس الجنسية التي تدخل في تركيبة العلاقات بين الشخصيات، غير اننا نلاحظ انهيار دعائم هذه الحشمة في فيلم آخر، هو «عائلتي المثيرة جنسياً»؛ حيث التصوير لا يتعدى فقط حدود الحشمة انما حدود الصراحة.

من ناحية الأرصدة الفنية، أو الأخرى المعنوية الدعاوية، يتمتع كل من «ألف قبلة صغيرة» أو «أعد الغطس» برصيده الخاص المكتسب من المهرجانات المحلية الوطنية، أو العالمية. فقد قدم «ألف قبلة صغيرة» في نطاق برنامج «نظرة ما» ضمن مهرجان «كان» سنة ١٩٨١، كما أنه حصل بتاريخ ٥ نيسان (أبريل) ١٩٨٢، على ثلاث جوائز أوسكار إسرائيلية هي: الجائزة الثانية لأفضل فيلم، جائزة أفضل تصوير لديفيد غارفينكل وأفضل موسيقى لشرومو غرونيش. ومن جهة أخرى، اشترك «أعد الغطس» في المسابقة الرسمية لمهرجان برلين السينمائي الذي انعقد مؤخراً في منتصف شهر شباط (فبراير) الماضي، إلى جانب فوز الفيلم، كذلك في نيسان (ابريل) ١٩٨٢ بثلاث أوسكارات اسرائيلية، وهي: الجائزة الأولى، أوسكار أفضل اخراج لشيمون دوتان وأفضل مونتاج لداني شيك.

اسرائيل والمهرجانات والأسواق

في الحقيقة، ان الغرض من ذكر الكلام الوارد اعلاه يتلخص في المحاولة للكشف عن:

١ ــ النوعية السائدة في الانتاج والتي تحدد موضوع السيناريو شكلاً ومضموناً،

٢ ــ السعي الحثيث الرامي إلى النهوض بكيان سينمائي اسرائيلي، بغية ممارسة الفن السابع بجميع مظاهره، بدءاً من امساك الكاميرات وادارتها للتصوير وانتهاء بالمناسبات والأعياد الخاصة التي يحاول الاسرائيليون تقليد العادات الهوليودية، من الاحتفال بتوزيع جوائز الأوسكار المعادل، إسماً، للأوسكار الأميركي، علماً بأن موعد اقامته يتم في نفس حدود الفترة الزمنية أو حتى في نفس التاريخ التقليدي المقرر لاحياء الحفل الأميركي، كما حصل في العام ١٩٨١، عندما جرى توزيع الأوسكارات الاسرائيلية في ذات يوم الحادي والثلاثين من شهر آذار (مارس)، تحت رعاية وزير الصناعة والتجارة.

٣ ــ وهي النقطة الأهم، السعي لايجاد سوق عالمية للفيلم الاسرائيلي، تسمح ببيعه وتوزيعه وعرضه على مختلف شاشات العالم، على الرغم من الحواجز العديدة التي تعيق ذلك وأبرزها اللغة العبرية واعتماد شركات الانتاج الاسرائيلية على المواضيع الشعبية التي تجمع، حسبما اشرنا في البداية، بين الكوميديا وحبكة السيناريو ذي الايقاع الخفيف، أو هو ذي النزعة التجارية الخالصة، أو بين الميلودراما والحبكة العاطفية ــ السياسية، وهذه الأفلام ان تمكنت من استرداد ميزانيتها وجني الأرباح، فذلك يتحقق ضمن حدود السوق الداخلية، خاصة اذا ما توفر حضور الفئات الشابة، أو المراهقة التي تشكل النسبة العظمى من الجمهور المهتم بقصص الأفلام المعنية. وهذا تستثنى منه، بالطبع، حالة الأفلام التجريبية والفنية التي تظهر بين الحين والآخر، ويقتصر عرضها على صالات الفن والتجربة.

من هنا، بدأت تلوح في الأفق، في الآونة الأخيرة، الأهداف المعلنة للسينما الاسرائيلية، التي تتركز حول الآتي:

ــ البحث عن اسواق خارجية.